

(١) ـــ ماورد إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الرسائل :

وقد وردت إليه أسئلة من علماء الحرمين والشام وأقطارها،وعلماء نجد وسكانها، وعلماء الاحساء واتباعها، متعلقة بكشف أحواله، ومايدعو الناس إليه من توحيد الله واخلاص العبادة له، ومتضمنة للسؤال عن بيان مايدعيه ومايقوله ومادليله فيه، فأجابهم بإجابة من الكتاب والسنة واجماع صالح سلف الأمة مابمثلها يهتدي المهتدون، وعليها يقف المنصفون، وبها يأخذ المستدلون، فهدى الله به من اهتدى وخاض في لجج طغيانه من شقى، ولو ذكرنا ماحصل من ذلك على التفصيل اللائق لطال الفصل، وانعكس الوصل، ولكن يكفي اللبيب ماقد شاع عنه وذاع، وتقطعت به الأسماع، من أنه يدعو الناس إلى توحيد الله وحده لاشريك له في عبادته ومعاملته واخلاص وحدانيته وعبادته بأنواعها له وحده ليكون الدين كله له، وهذا مادعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب.

القول على خطبة رسالة عبد الله الراوي :

وقد وردت إليه رسالة تنسب إلى عبد الله أفندي الراوي البغدادي خطيب المسجد المنسوب للوزير سليمان باشا،وقيل لعبد القادر الجيلي رحم الله روحه ونور مرقده وضريحه، وكان ارسالها بأمر الوزير سليمان باشا المقيم فيه الآن، هداه ربنا الرحمن في السر والاعلان، ومضمونها : أن التوحيد إنما هو مختص بمعنى الربوبية، فالاله اسم مختص بالخالق الرازق الضار النافع وهو الله،ولا يكون اسماً لغيره إلا ان اعتقد أن ذلك الغير يوجد ذلك الضر والنفع اعتقاداً علمياً مع اعتقاد ذلك الغير أيضاً شريكاً لله حتى يطلق على ذلك المعتقد اسم المشرك واسم الكفر الموجب لسفك دمه وخلوده في النار، فأما من قال بلسانه لا إله إلا الله محمد رسول الله وآمن بالله واليوم الآخر ثم دعا غير الله من ولي أو ملك أو نبي بشيء لايقدر عليه إلا الله تعالى، واعتقد في ذلك الغير أنه يضر وينفع فهو يعتقد فيه ذلك الذي لايقدر عليه إلا الله، ولكن لايعتقد أنه

شريك لله. بل إذا سئل فقيل له الله شريك، قال لا. ولكني أدعو هؤلاء لقربهم وصلاحهم، فهم يكشفون شدتي، ويفرجون كربتي، وأطلب منهم شفاعتهم، فإن ذلك لايخرج عن الملة بل فيه مجرد الحرمة والاثم فقط. ثم استثنى جواز سؤال الشفاعة منهم في هذه الدار وانه إن دعاهم لشفاعتهم له وطلبها منهم فلا بأس بذلك، وفيه أيضاً: أن تارك الصلاة عامداً لايكفر فلا يقتل وفيها أيضاً: جواز شد الرحال إلى زيارة القبور، وانه قريب من الواجب حيث كانت قبور الأنبياء، وفيها مسائل ومسائل واعتراضات كما سنذكرها إن شاء الله تعالى، وقد أرسلها الوزير المكرم لننظر فيها ثم نجيب عنه، فنقول بعد الاستعانة بالله والاتكال عليه والبراءة من الحول والقوة.

أما قولكم بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله أحمده وأستعينه، وأستغفره وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه وعلى من تبعهم بإحسان، وقفى أثرهم إلى آخر الزمان.

فنقول هذا الابتداء بالبسملة، والحمد له، والاستعانة، والاستغفار، والاستعاذة بالله من شرور النفس وسيئات الأعمال والاخبار، بان من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والشهادة بأن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله، والاخبار بارساله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وانشاء الصلاة عليه وعلى آله وأصحابه وجنده وحزبه ومن تبعهم باحسان وقفي أثرهم إلى آخر الزمان، مشروع للتأسي بالكتاب العزيز ومأمور به في قوله ﷺ: « كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر » وفي رواية فهو أجذم. وفي رواية فهو أقطع. والأبتر في اللغة مقطوع الذنب. والأجذم مقطوع الأنف. والأقطع مقطوع اليد. أطلق الشارع ﷺ كلا منها في الحديث على مافقدت البركة منه تشبيهاً له بما فقد ذنبه الذي به تكمل خلقته، أو بمن فقدت يداه اللتان يعتمدهما في البطش ومحاولة تحصيل مايروم تحصيله. فاطلاق كل منها في هذا على وجه التشبيه البليغ أو الاستعاذة، ومعنى ذلك في هذا المعنوي ناقص البركة فهذا حث منه ﷺ على البدء بالبسملة التي هي سبب لتمام البركة في كل مايهتم به شرعاً، وكما ان الحديث وارد بالبدء بالبسملة فكذلك

الحمدلة. ولذلك المصنفون يجمعون بينهما. لكن الابتداء بالبسملة حقيقي، وبالحمدلة اضافي،ليندفع التعارض. والاسم مشتق من السمو، وهو العلو، أو من السمة وهي العلامة-وفيه ست لغات كما هي مبسوطة في محالها من مطولات ومختصرات،ووشرت سينه للتمييز بينه وبين الفاصل للميم عنه. ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب الناس على توشيره،وعلى مد الالف المتصلة به قدام الباء،التي وضعت عوضاً عن الالف المتصلة بالباء في حال انفرادها عن السين، كما في باسم ربك، وأفردت نقطة الباء التي تحت الاسم اشارة إلى تفرده تعالى بالالوهية والوحدانية، ودورت ميمه اشارة إلى احاطة ملكه سبحانه وتعالى جميع الكائنات، فاجتمع فيه معنى الالوهية والربوبية، ثم هذا المبدوء به المذكور في صدر المقدمة يحتاج كل ذاكر له وقائل به إلى علم معانيه والعمل بما يدعيه،فإن معنى قول القائل بسم الله،أي أستعين وأتبرك بكل اسم للذات الاقدس،المسمى بهذا الاسم الانفس،الموصوف بكمال الانعام ومادونه، فالباء متعلقة بمحذوف مقدر بقوة المذكور وكونه فعلاً أولى لأنه الأصل في العمل،وعمل الاسم بالحمل عليه وخاصاً من مادة المفعول أولى أيضاً،فمريد السفر يقدر بسم الله أتبرك وأستعين به على السفر،والمؤلف يقدر على التأليف،فهو في معنى أسافر أو أؤلف ونحو ذلك،لما فيه من الاستعانة والتبرك في جميع أجزاء الفعل،بخلاف الابتداء والافتتاح سواء قلنا معنى الباء الاستعانة أو المصاحبة أو التعدية،وكونه مؤخراً عن لفظ بسم الله أولى أيضاً،ولايجوز بينهما والأولى تأخيره عن الرحمن الرحيم لمن أتى بهما،وذلك لأن رتبة العامل التقديم،فتأخيره لنكتة وهي افادة الاهتمام مطلقاً والاختصاص والحصر غالباً وهو من حصر القلب ان كان المشركون يتبركون باسماء آلهتهم ومايعبدون من دون الله،أو من قصر الافراد ان كانوا يتبركون بالابتداء باسماء الله وأسماء آلهتهم،واستظهره السعد وغيره. فلذلك وجب على الموحد قصر الاستعانة والتبرك على اسم الله تبارك وتعالى،أي الاتيان بما يفيد ذلك وان لم يلاحظه أو لم يعرفه،ولايغني عنه كون المتكلم لايعتقد ذلك لعدم اطلاعه عليه ومعرفته اياه،إذ الجهل بالشيء لايزيل حكمه. وأما قوله تعالى اقرأ باسم ربك فللاهتمام بالقراءة لخصوص المحل،فان أول هذه السورة أول مانزل من القرآن واقرأ فيها راجع للبسملة لأنها بعض ذلك الاول ومقدمة عليه،فهي أول آية نزلت على الاطلاق كما اقتضى الاختصاص والحصر، اياك نعبد واياك نستعين،والمعنى نخصك بالعبادة

والاستعانة،فلا نعبد إلا أنت ولانستعين إلا بك،ففي تقديم اسم الله اهتمام به للتعظيم واختصاص أيضاً،وحصر للذوق السليم،وتنبيه على أنه ينبغي للعابد أن يكون نظره ابتداء إلى المعبود ثم إلى العبادة،لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث أنها نسبة شريفة إليه،ووصلة بينه وبين معبوده، وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤس الآي،ولأن تقديم الوسيلة التي هي القربة والاعمال الصالحة على طلب الحاجة أدعى إلى القبول والاجابة،وللاشارة إلى أنه لاتوجد العبادة من العابد إلا مع الاستعانة،ولذلك قيل ان الواو للحال،وكرر الضمير اشارة إلى حصر الاستعانة به تعالى،وذكر السين في بسم الله للفرق بين التيمن واليمين.

(والله) أصله اله زيدت فيه اللام وشددت وفتحت همزته فصار الله،وهو علم على ذاته تعالى وتقدس يوصف ولايوصف به (والرحمن الرحيم) اسمان بنيا للمبالغة من رحم ،كالغضبان من غضب،والعليم من علم،والرحمن أبلغ من الرحيم،لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى،وانما قدم،والقياس يقتضي الترقي لأنه صار كالعلم من حيث أنه لايوصف به غيره تعالى لأن معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لايصدق على غيره،أو لأن الرحمن لما دل على جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ماخرج منها،فيكون كالتتمة،وفي ايثار هذين الوصفين المفيدين المبالغة في الرحمة اشارة لسبقها وغلبتها على أضدادها وعدم انقطاعها ، فلينظر القائل بسم الله أهو عامل بمعناه،لقصره الاستعانة والبركة على اسم الله خاصة،فلا يعتقد معنى ذلك في غيره تعالى كما كان يعتقده المشركون في آلهتهم ولايرضى به أيضاً،وان أشعر تقديم العامل بالاحتمال فاعتقاده باق على حاله،أو هو يعتقد ذلك المعنى في غير الله مع كونه إنما ذكر اسم الله خاصة،أو لم يعتقده لكنه يرضى به من غيره،فهذا لم يقصر الاستعانة والبركة على اسم الله وان أتى بما يفيدهما لفظاً،لأن عقيدته أفسدت عليه..
(ومعنى الحمد لله) أي جنس الوصف بالجميل أو كل فرد منه مملوك أو مستحق للمعبود بالحق المتصف بكل كمال على الكمال.والحمد هو الثناء بالصفات الجميلة الاختيارية، والافعال الحسنة المرضية، سواء كان في مقابلة نعمة أم لا. وفي الاصطلاح فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب انعامه على الحامد أو غيره. والشكر لغة هو الحمد ومعناه اصطلاحاً صرف العبد جميع ماأنعم الله عليه لما خلق لأجله.

قال تعالى : ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ وبين الحمد والشكر اللغوي عموم وخصوص من وجه ، فان الحمد مورده خاص،ومتعلقه عام،والشكر مورده عام،ومتعلقه خاص،كقوله :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

(ولينظر القائل الحمد لله) أيضاً هل هو خاص بالمعبود بالحق المتصف بكل كمال على الكمال بما هو حق له،فما كان من جلب نفع أو كشف ضر فلا ينسبه إلا إليه تعالى ويثني عليه به،لأنه المنعم الحقيقي.وغيره وان أسدى معروفاً فالثناء عليه مجاز ، لأن الله هو الخالق لذلك الغير،وهو المعطي له ماأسداه وحببه إليه وقواه عليه، فهو سبحانه المعطي المانع الضار النافع،وازمة الأمور كلها في يده ومرجعها إليه،فصار معنى الحمد مختص لله تعالى بهذا الاعتبار،وان أثنى على الناس خيراً،أو هو ينسب شيئاً من ذلك لغيره تعالى فقد عدله به،وان قال الحمد لله لفظاً،فان كان قد خص المعبود بما هو حق له فقد أتى بمعنى أحمده،لأن معناه أصفه بجميع صفاته التي كل منها جميل،وأثنى عليه بها فان رعاية الجميع أبلغ في التعظيم،وهذه الصيغة يدل معناها على إيجاد الحمد الذي هو الثناء على الله بجميع المحامد لا الاعلام بذلك،وان لم يخصه تعالى بما هو حقه لم يأت بالمعنى وانما هو مجرد لفظ خال منه . (ومعنى) أستعينه أي أطلب المعونة في أموري كلها منه،فأنا متوكل عليه ومتبرىء من حولي وقوتي ولا أرضى من نفسي ولا من غيري إلا بذلك،فان عمل به فقد أتى بمعناه،وإلا فهو مجرد لفظ . (ومعنى) استغفره أي أطلب منه المغفرة.ثم ان كان المستغفر قد فعل ذنباً أقلع عنه وندم عليه وعزم أن لايعود إليه فذلك توبة ، وإلا فهو مجرد دعاء ، والمستغفر المقيم على ذنبه كالمستهزىء بربه . (ومعنى) أعوذ أي ألوذ وأتحصن واعتصم وأستجير بالله من شر هذه النفس الأمارة أن تصدني عن فعل ماأمرت به،أو تحثني على فعل مانهيت عنه،فيحصل لي الشر من قبلها لأنها قد حسنت لي سيآت الأعمال،فأعوذ بالله من شرها ومن سيآت أعمالها. فعلامة الصدق في ذلك فعل المأمورات واجتناب المنهيات والانقياد إلى قول الله والاتباع لدين محمد بن عبد الله،وإلا فهو مجرد لفظ خال من معناه . (ومعنى) من يهد الله فلا مضل له أي من يرشده الله إلى

سبيل الرشاد وهو الصراط المستقيم الذي أنعم الله به على النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فلا محيد له عن ذلك، ومستهل الهداية دخول الدليل إلى الفؤاد والانبساط له كما يراد، ثم خفة الطاعة بعد القيام بمعنى الشهادتين والحمد على الخروج من ساحة الاضاعة ونور البصيرة وجلاء عين السريرة والسلوك في مدارج السالكين، ومناهج المتقين، والسفر إلى أعلى عليين، ومحبة أرحم الراحمين، والاقتداء بأفضل المرسلين، وأما من كان من الضالين ــ أي الهالكين الغائبين ــ عن الهدى الزائغين عنه بتقدير الله عليه ذلك فلا هادي له مصداقه قوله تعالى: ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ بل قلبه عن الحق مقفل قد نابذ جميع أوامر الله عز وجل، وانتقش في خاطره الكثيف بغض الحق وأهله، وامتلأ قلبه وقالبه بحب الباطل وأهله، والشيطان وحزبه والتلذذ بكل نوع من الطغيان، فنفرت منه كل جارحة عن حزب الرحمن، لاشيء أحب إليه من اطفاء نور الايمان وتكثير جند الطغيان، وفي المعنى يقول الرحمن: ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ وهذه الآية على هؤلاء أشد بلية وأجل رزية، فإنهم يحاولون بجدهم وجهدهم اغواء المؤمنين، ونقض عهدهم مع الموحدين ليرجعوا إلى ماهم عليه من الباطل والطغيان. ومن ذاق طعم الايمان لأن يقذف في النار أحب إليه من أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه رب العالمين. فحلاوة الايمان لا ألذ منها عند الموحدين، ثم النصر والتأييد لهم في كل حين. وحزب الشيطان يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. والمهتدي إذا صارت نفسه لوامة خاف من مورثات الندامة فحزن على مافات وخاف مما هو آت. ومقام الخوف من أجلّ المقامات ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ وقد أخبر ﷺ أنه أخوف الأمة لمولاه. فلينظر الانسان من أي الفريقين هو أمن حزب الرحمن، أم من أولياء الشيطان الذين لم ينقادوا لاتباع ماجاءت به الرسل فقلب قلبه عن الحق بعدم الانقياد كما قال تعالى ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ وكقوله: ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون ﴾ فجعل علة التقليب والطبع عدم الانقياد لاتباع ماجاءت به الرسل، وذلك أنه تعالى قد فطر عباده على الهدى فمن بقي على الفطرة وقبل ماجاءت به الرسل زاده هدى ولطفا وتوفيقاً. ومن

غير الفطرة وعاند ماجاءت به الرسل ولاه الله ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا، ويسره للعسرى وخذله. (ثم ليعلم) أن ارادته تعالى الخير من عباده، وارادته الشر لايستلزم وقوع المراد منهم ضرورة، إنه أراد ذلك منهم مع بقائهم مختارين كما أراد الايمان منهم فهو أراد وقوع الخير منهم وهم مختارون، فقد يقع ماأراده تعالى منهم وقد يتخلف هذا بخلاف مايريده تعالى من أفعاله فإنه لايتخلف عن ارادته وقوع مراده مثل قوله تعالى: ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون ﴾ بخلاف الأول ومنه ﴿ يريد الله أن يتوب عليكم ﴾ فإن المراد يريد منكم أن يتوب عليكم فيتوب عليكم أي يتقبل توبتكم، إلا ان مع ارادته تعالى الخير لعبده يكون أقرب إلى فعل ماأراده منه لأنه من اللطف، وعكسه ارادته بعبده الشر. إذا عرف هذا فليجعل هذا البحث نصب العينين فقد زلت بجهله عوالم وتهاوش حوله طوائف ولم يقع لهم محرراً مقرراً. (ومعنى نشهد) أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له أي أذعن بقلبي واعترف بلساني وأعمل بمقتضى ذلك أن لامعبود بحق في الوجود إلا الله؛ فمن عبد من دونه أو معه فعبادته زور وظلم وبهتان، وأنا بريء من العابد وعبادة المعبود واشتقاق الاله من التوله، ومعناه المألوه وهو الذي تتألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والاجلال والخوف والرجاء والالتجاء والتوكل والانابة وذبح النسك. قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ فالمحبة التي في الله غير التي كحب الله لأن الأولى محمودة شرعاً كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله والثانية تأله: ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ وكذلك الخوف ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ والتوكل ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ فهذا كله يفيد الحصر. ثم استعمل في كل مايعبد بما تقدم ذكره من دون الله أو معه، فنفى ذلك بلا النافية للجنس وأثبت الألوهية لمستحقها وهو الله بألا المفيدة للحصر.

(وحده) أي حال كونه مفرداً بها عما سواه (لاشريك له) حال ثانية مؤكدة للأولى. أي لاشريك له في هذه الألوهية التي نفيت عن غيره واختصت بجلاله وعظمته، فالعبادات بأنواعها له خاصة به ليس لأحد منها شيء البتة، فهذه الكلمة

الطيبة التي قد قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد وبها أمر الله سبحانه جميع العباد، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ومفتاح عبوديته التي دعا الأمم على ألسنة رسله إليها فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وأساس الفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة. ضد الكلمة الخبيثة التي كالشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) فهي خراب الكائنات وعليها تثبت أنواع المنكرات، وبها وجد الذل والصغار ولأجلها فتحت أبواب النار فكل من لم يعمل بمعنى هذه الشهادة التي قد شهد بها فهو كاذب في ادعائه إياها كما كذب الله الذين شهدوا بالرسالة فلم يعملوا بمعناها. (وان محمداً عبده ورسوله) أي أشهد أن محمداً عبده ورسوله، فمحمد اسمه ﷺ وكنيته أبو القاسم، وسمي به لكثرة خصاله الحميدة سمي به قبله سبعة عشر شخصاً على ماقاله ابن الهائم عن بعض الحفاظ، بخلاف أحمد فإنه لم يسم به قبله عبد قال أبو علي الدقاق ليس شيء أشرف ولا أتم للمؤمن من الوصف بالعبودية، ورسوله إلى كافة الخلق. والرسول انسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه أخص من النبي. فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وينفرد أحدهما في أخرى، وهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين، وحجة على المعاندين، وحسرة على الكافرين، (أرسله بالهدى ودين الحق) الذي هو التوحيد بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. فأنعم به على أهل الأرض نعمة لايستطيعون لها شكوراً فأمده بملائكته المقربين، وأيده بنصره وبالمؤمنين، وأنزل عليه كتابه المبين الفارق بين الهدى والضلال والغي والرشاد والشكر واليقين، فشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، وفرض علىَ العباد طاعته ومحبته والقيام بحقوقه وسد الطرق كلها إليه وإلى جنته، فلم يفتح لأحد إلا من طريقه فهو الميزان الراجح الذي على أخلاقه وأقواله وأعماله توزن الأخلاق والأقوال والأعمال، والفرقان المبين الذي باتباعه يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فلم يزل ﷺ مشمراً في ذات الله لايرده عنه راد، صادعاً بأمره لايصده عنه صاد، صادع إلى أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فأشرقت برسالته الأرض بعد

ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، وامتلأت به الدنيا نوراً وابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فلما أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة على عباده المؤمنين، استأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى، والمحل الأسنى، وقد ترك أمته على المحجة البيضاء، والطريق الواضحة الغراء، فصلى الله وسلم وملائكته وأنبياؤه ورسله والصالحون من عباده عليه. كما وحد الله وعرف به ودعا إليه. ومن لازم صحة هذه الشهادة الإيمان بما أرسل به وهو التوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً، وتصديقه بجميع ماأخبر به وإلا فهو مكذب ودين الحق هو المؤيد المنصور لقوله تعالى ﴿ ليظهره ﴾ أي يعليه ويعزه ﴿ على الدين كله ﴾ سائر الأديان المخالفة لدينه (صلى الله وسلم عليه) قال الأزهري معنى الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدمي التضرع والدعاء بخير، وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، والسلام إما بمعنى التحية أو بمعنى السلامة من النقائص والرذائل وتستحب الصلاة عليه بتأكد، وتتأكد كلما ذكر. وقيل بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه (وعلى آله) وهم في مقام الدعاء أتباعه على دينه عند أكثر أهل العلم، قال تعالى: ﴿ ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ أي أتباعه. وقيل هم الأتقياء من أمته. وأما في مقام الزكاة فهم أقاربه المؤمنون من بني هاشم والمطلب ابني عبد مناف، وقدموا على الصحب للأمر بالصلاة عليهم واضافته إلى المضمر جائزة عند الأكثر، وعمل أكثر المصنفين عليه، ومنعه جمع منهم الكسائي والنحاس والزبيدي (وصحبه) جمع صاحب، وجمع الصحب أصحاب، والصحابي من لقي النبي ﷺ واجتمع به مؤمناً ومات على ذلك. وعطفهم على الآل من عطف الخاص على العام، وفي الجمع بين الصحب والآل مخالفة للمبتدعة لأنهم يوالون الآل دون الصحب (وجنده) هم خاصته من المؤمنين (وحزبه) المعاونين له بالنصرة (وعلى من تبعهم بإحسان) لم يغيروا بعدهم ولم يبدلوا سيرتهم الحسنى (وقفى أثرهم) على السيرة المحمودة (إلى آخر الزمان) فمن لم يتبع بل غير وبدل فهو مبتدع، وقد أثنى الله على الذين يطلبون المغفرة من ربهم لأنفسهم ولمن سبقهم من المؤمنين فقال تعالى: ﴿ والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم ﴾ فهذا هو المطلوب بعكس

ماعليه أهل الأهواء من الوثوب على مسبة الحق الذي جاء من عند الله فهو له غير محبوب، وتفريق كلمة المؤمنين وسب أكابر الصحابة والتابعين.

وماأمروا إلا ليستغفروا لهم فسبوا كراماً سبهم لم يحلل

وقال الإمام مالك رحمه الله: من أصبح وفي قلبه بغض لأحد من الصحابة فقد أصابته الآية يعني قوله تعالى: ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾.

وصرح بعض الحنفية بتكفير الرافضة لسبهم الصحابة. فقال صاحب تبيين المحارم:

واعلم أن الروافض كفار عندنا لأنهم يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وكذا من أنكر خلافتهما يكفر عندنا في الأصح وقد أثنى الله سبحانه على السابقين من الأولين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين في قوله تعالى: ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ وإنما المتبع لهم العامل بمناهجهم، والمقتدي بهديهم هو الذي لم يحدث في الدين ولم يغير ماجاءت به سنة سيد المرسلين.

سبب تأليف الرسالة :

وأما قولكم (وبعد فلما ان ورد كتابكم إلى حضرة سليمان باشا طلبتم منه أن يجمع علماء مملكته لينظروا في كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كي يطلعوا على ماانطوى عليه من الأحكام ويميزوا بين مايستوجب النقض والابرام صدر منه الأمر الواجبَ القبول والاتباع وأشار إليّ واشارته حكم وطاعته غنم فامتثالاً لأمره نظرنا فيه فبعد أن طالعناه ، وفهمنا فحواه ، وجدناه كتاباً جامعاً لشتات من المسائل مشتملاً على عدة رسائل لكنه قد جمع فيه بين غث وسمين ، وقوي ووهين ووجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطراً ، ولم يمعن فيها نظراً ، ولاقرأ على أحد ممن يهديه إلى النهج القويم ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التي هي الصراط المستقيم .

فنقول (وبعد) هذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من غرض إلى غرض آخر ويندبَ الاتيان بها في الخطب والمكاتبات كما كان ﷺ يأتي بها في خطبه ومكاتباته . رواه عبد القادر الرهاوي في الاربعين له عن أربعين صحابياً ، وأول من تكلم بها داود ﷺ فهي فصل الخطابَ الذي أوتيه،والصحيح أنه فصل الخصومات كما عليه جل العلماء،وقيل أول من تكلم بها يعربَ بن قحطان ، وقيل قس بن ساعدة ، وقيل غير ذلك،وهي من الظروف التي تقع على الزمان والمكان،ويجوز هنا ارادة كل منهما،وهي مبنية على الضم لنية معنى المضاف إليها ويجوز نصبها لنية لفظه كما لو ذكر وان لم ينوشيء من ذلك جاز تنوينها نصباً وضماً،والواو نائبة عن أما،واما نائبة عن مهما،والاصل مهما يكن من شيء بعد الحمدلة إلى آخره . (فلما) أو غير ذلك (ان ورد) من ورد الشيء إلى مستقره أي وصل (كتابكم) أي مكتوبكم (إلى الوزير) المذكور اسمه اعلاه وفقه الله وهداه وأصلح أحوالنا وإياه (وطلبتم منه أن يجمع علماء مملكته) أي دولته وسلطنته وهم علماء بلده المقيمون فيه .

ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذكر من أخذ عنه العلم :

(لينظروا في كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب) بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ادريس بن علي بن محمد بن علوي بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيع بن ساعدة بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة بن تميم ولد سنة ١١١٥ دخل البصرة والحجاز وأخذ العلم عن جماعة؛ منهم الشيخ علي أفندي الداغسطاني لما اجتمع به في المدينة المنورة مجاوراً بها شيخ مشايخ الشام بأجمعهم بعد الشيخ أبي المواهب والشيخ اسماعيل العجلوني فان أبا المواهب الكبير وهو المحدث عبد الباقي متقدم عليه والشيخ العجلوني كان في عصره وأخذ أيضاً عن عبد الله بن ابراهيم نزيل المدينة والمشهور بها وأخذ أيضاً عن عبد اللطيف الاحسائي العفالقي وأخذ أيضاً عن محمد العفالقي الاحسائي فقد قرأ على الشيخ عبد الله بن ابراهيم وأجازه من طريقين :

(أحدهما) : عن ابن نصر الله عن الشيخ محمد البلباني عن الشيخ أحمد بن على الوفائي المفلحي عن الشيخ موسى الحجاوي عن القاضي برهان الدين بن مفلح وهما عن والده نجم الدين بن مفلح عن والده القاضي صاحب الفروع عن جده عبد الله بن مفلح عن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين بن أبي عمر عن عمه موفق الدين بن قدامة عن الشيخ عبد القادر الجيلي عن القاضي أبي يعلى المرداوي عن ابن حامد عن أبي بكر الخلال عن أبي بكر المروزي عن الإمام أحمد عن سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عليه السلام عن رب العزة تبارك وتعالى .

(والثاني) : عن عبد القادر التغلبي عن عبد الباقي أبي المواهب المحدث عن الشيخ أحمد الوفائي عن موسى الحجاوي عن أحمد الشويكي عن العسكري عن عبد الرحمن بن رجب عن ابن القيم عن تقي الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين نجل أبي عمر عن عمه موفق الدين عن الشيخ عبد القادر الجيلاني عن أبي الوفا بن عقيل عن القاضي أبي يعلى عن ابن حامد عن أبي بكر المروزي عن الخلال عن الأثرم عن الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة أيضاً عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى، وقد أجازه أيضاً كل من الشيخ علي أفندي، وعبد الله بن ابراهيم، وعبد اللطيف العفالقي، في كل ماحواه ثبت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلماً وتعليماً من صحيح البخاري بسنده إلى مؤلفه، وصحيح مسلم بسنده إلى مؤلفه، وشروح كل منهما، وسنن الترمذي بسنده، وسنن أبي داود بسنده، وسنن ابن ماجة بسنده، وسنن النسائي الكبرى بسنده، وسنن الدارمي ومؤلفاته بالسند، وسلسلة العربية بسندها عن أبي الأسود عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتب النووي كلها وألفية العراقي، والترغيب والترهيب، والخلاصة لابن مالك، وسيرة ابن هشام، وسائر كتبه، ومؤلفات ابن حجر العسقلاني، وكتب القاضي عياض، وكتب القراآت وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلي، وكتاب القاموس بالسند إلى مؤلفه، ومسند الإمام الشافعي، وموطأ مالك، ومسند الإمام الأعظم، ومسند الإمام أحمد، ومسند أبي داود ومعاجم الطبراني وكتب السيوطي فقه الحنابلة وسلسلتها وأصولهم. ثم أنه رجع إلى نجد فوجد أهلها ضالين وعلى أصنام يعبدونها من دون الله عاكفين مابين أشجار وأحجار وغيران وطواغيت من الانس والجان فاتنين ومفتونين فلم يسعه إلا الصدع بالحق والاعراض عن المشركين، والنصيحة لهؤلاء العاكفين عملاً بنصيحة الدين وخوفاً من حلول اللعنة إلى يوم الدين ﴿ إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ فتحتم عليه البلاغ والعلم والتعليم. فشرع في ذلك وهو على الله متوكل، وبآيات الله متفكر وبحبله معتصم بعد أن طرأ في خلده وخطر في هاجسه أنه مما هم به على خطر، وأنه من ذلك على حذر، فلما أن توكل على الذي ليس دونه مفر ولايغني عنه مقر، كفاه ومنحه وحباه.

فادركت العناية الإلهية والهداية الربانية من أراد الله هدايته لإقامة دين الإسلام والتمسك في سبل السلام أمير بلدته التي فيها محلته مرحوم الودود محمد بن سعود،فشرح الله لذلك صدره ويسر له أمره ففتحت عين بصيرته وانجلت غشاوة سريرته،فسمع ووعى وذكر وأوعى،وزادته العناية توفيقاً والهداية في قلبه ترقيقاً،فأجد وأمد وعن ساعده شمر، واجتهد مقبلاً على اقامة التوحيد وداعياً إليه العبيد،فلذلك عاداه أهل هذا الباطل وأقاموا بأنواع العداوة عليه فأجمعوا جدهم وجهدهم من خيلهم ورجالهم ومدافعهم التي هي غاية ماعندهم ليرجعوه هو واتباعه عن اقامة التوحيد،والدعاية إليه واخلاص الوحدانية والعبادة كلها بأنواعها لله وحده،إلى ماكانوا عليه من الطغيان، وعبادة الشيطان، من الانس والجان، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون. ولم يزل ذو العناية والهداية معتصماً بحبل الله معداً لأولياء الشيطان مااستطاع من قوة الآلات ومن رباط الخيل في سبيل الله ممتثلاً قوله تعالى في الآيات البينات: ﴿ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون ﴾ فأعز الله به الإسلام والمسلمين وألف به بين قلوب المؤمنين وظهر الحق وانتصر الدين وقمع الباطل وأولياءه المشركين وهكذا لم يزل الأمر حتى توفاه الله إليه، واختار له مالديه من النعيم المقيم أبد الآبدين قال تعالى: ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ وقال تعالى: ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ فقام مقامه وانتصب انتصابه ناصر السنة والدين وخاذل البدعة والمشركين المجاهد في سبيل الله إيماناً واحتساباً والداعي إلى الله إيجاباً نجله الأواه المعتصم بالله الحميد المحمود،عبد العزيز بن محمد بن سعود،فجاهد في الله واجتهد، وبذل نفسه لله وأمد،فأفشى الله به الإسلام وأوسعه،واضمحل به الباطل وقمعه،ولاقام صاحب باطل وهوى على اطفاء نور الله إلا وأهلكه الله في ساعة قصيرة فلله الحمد والمنة،حتى وقع في الإسلام وقائع غرائب وعجائب كما مضى في صدر سلف هذه الأمة عيناً بعين ومثلاً بمثل مالو جمع ذلك لاحتمل مجلدات لكثرة البلاوي والوقائع الغربيات بمعادات هذا الدين،والتصديق والانقياد لقول أعدائه من شياطين الانس المفتونين إذ

قالوا وكذبوا وشنعوا وان لم يحققوا ويتحققوا،فقد آل الأمر إلى تجذيب النساء مع الرجال من تحت أستار الكعبة في وقت الشريف مسعود،فحبس وعذب،وسرقن عن بلد الله الحرام من كان فيه تهمة من هذا الحق والتنسك به وانتساب إليه،وغرب عداوة للدين وطواعية لشياطين الانس المعاندين بلا مراجعة ولامفاكرة ولاعداوة دنيوية سابقة وإنما هو عناد وطعن في الحق المراد بلا تحقق ولاتذكر ولاتفكر،ولما حذر الشيخ محمد ابن عبد الوهاب عن هذا الشرك الأكبر فعنه أنذر وأقام عليه البراهين من القرآن والسنة وكلام الأئمة فقرر وحرر أحب أن يجمع فيه كتاباً مختصراً جامعاً لمعنى دين الرسل من أولهم إلى آخرهم ومعرفته،ومعنى دين المشركين المتقربين إلى الله بأبغض الأشياء إليه من أعمال المعاندين،بأدلته الجامعة من الكتاب والسنة وكلام صالح سلف الأمة،وليس هو يدعو الناس إلى التزام بمذهب معين فيجمعهم عليه،وينكر كلام واجتهاد الأئمة المجتهدين من غيره،ولا إنه يدعي الاجتهاد بنفسه،وإنما يدعوهم إلى العلم والعمل بمعنى هذه الكلمة الطيبة التي أرسلت بها الرسل وأنزلت في تقريرها الكتب للعلم بها والعمل بمعناها،وترك الكلمة الخبيثة عملها ومنشأها وسماه (كتاب التوحيد) فيما هو حق على العبيد،وكشف شبه المرتاب فيما التبس عليه من الخطأ والصواب،فشاع وذاع ونفع من الله نقاد وأطاع،وقد أرسل نسخة منه ولي الأمر المجاهد الأواه من ذكر اسمه المنيف أعلاه،إلى جانب العزيز المكرم سليمان باشا،محبة إليه ونصيحة وحرصاً عليه وفضيلة وليتأمل بعين الانصاف هو ومن كان عالماً من أهل الانصاف،فيعمل بعد تحققه ذلك باقامة الدين ويترك قول الشياطين المعاندين،ويحقق التوحيد المطلوب من العبيد،وما أصبح عليه غالب الناس من جعلهم من لايداني رسول الله ﷺ الذي خاطبه ربه في قوله تعالى: ﴿ ولقد أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ بل لعله عدو لرسول الله ﷺ بمنزلة رب العالمين والسموات السبع،والأرضين السبع،ورب العرش العظيم، فيعذرنا في أمرنا ونهينا ولايطيع الخصم فينا،لأنّ العاقل اللبيب إذا فهم ذلك وأتقنه تيقن ان أمرنا الذي قمنا به وباشرناه واجب ومتحتم علينا قال الله تعالى: ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ وقال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن

المنكر ﴾ ولامنكر أعظم ولا أكبر من الشرك بالله،ونحن قد مكننا الله في الأرض ولله الحمد فلا عذر لنا،ومن لم يمكنه الله فيها ولم يقدر على اظهار ماطلب منه وجب عليه شرعاً أن يأوى إلى من ينصره حيث وجد ويعاونه على البر والتقوى كي يطلعوا على ماانطوى عليه من الأحكام ويميزوا بين مايستوجب النقض والابرام أتى بكى التعليلية التي تفيد أن الاطلاع والتمييز علة لارسال الكتاب أي لم يرسل إلا ليطلعوا عليه ويميزوا مافيه مما يستوجب النقض والابرام فأما الإطلاع على مافيه من الأحكام فنعم.

والأحكام: جمع حكم، وهو ماشرعه الله من حلال، وحرام، ومكروه، ومباح، ومندوب. والمقصود بها هنا أبوابه ومسائله الشاملة لذلك، وبيان أصله المشتمل على التوحيد بأدلته التفصيلية، وأما التميز بين ماذكره فليس هو علة للارسال إذ لم يرسل ليحرر ويمر بل قد حرر وأمر عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر منهم المشايخ الشاميون الشيخ على أفندي الداغسطاني الذي قد ذكرنا اسمه،وابن عمه الشيخ عبد الكريم أفندي الداغسطاني،والشيخ محمد البرهاني،والشيخ عثمان الديار بكري نزيل المدينة المنورة،والشيخ محمد السفاريني نزيل نابلس،وأرسل إليه بنسخة فأمرها وأقرها من غير مشايخه الذين قد ذكروا،فإن منهم من أدرك كلامه وكلهم قد أقروه وحرروه وأجازوه،ولكن عذرهم عدم المساعد لهم في قيام ماتضمنه من اقامة الدين واخلاصه لرب العالمين وإلا هو الذي يدينون الله به في أنفسهم وأهليهم وأصحابهم من عشائرهم لكن لايقدرون على نهي الناس عما اعتقدوه وعملوا به وقالوه لأن ذلك يعتاز إلى سيف قائم وإمام عادل وذلك متعذر الآن إلا بتوفيق الله وإيجاده،وإنما أرسل الكتاب لأمرين.

الأول: ليحصل العلم عند الخاص والعام إنا لم نقاتل الناس إلا على إقامة دين المصطفى محمد ﷺ من العلم بمعنى هذه الكلمة الطيبة والعمل بها وعمل سائر المعروف التابع لها من صلاة وزكاة كفعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع المانعين لها والتعلم بما أوجب الله على عباده وما طلبه منهم وخلقهم له وبما نهاهم عنه وحذرهم منه فإن الرجل من أهل هذا الزمان يشب ويشيب وهو لايعرف المعروف بأنواعه بل

حتى التوحيد وضده وفروض وضوئه وصلاته ومايبطلهما لايعلمه بل هو منهمك في القول والقيل بلا فائدة ولاعائدة، وعلى ترك ضدها المنافي لها وهو الشرك الذي قال الله: ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ وإزالة سائر ماهو تابع لها من زنا وربا وشرب خمر ولواط وسائر المحرمات ومع ذلك نحن لانكفر بالمعاصي كما توهمه مطيعو العدو وإنما نكفر المشركين الذين كفرهم الله في كتابه المبين أو الراضين أعمالهم المظاهرين هم علينا والمكفرينا بأمرنا ونهينا لقوله تعالى: ﴿إنكم إذاً مثلهم ﴾ ونقاتلهم عليه وعلى سائر أفعال المعروف المتروكة.

الثاني: النصيحة لهذا الوزير الذي هو عندنا في محل، حرصاً عليه وشفقة منا إليه لودنا له ماوددنا لأنفسنا من أنواع الخير، فيتأمل ويعمل ورجاء أن الله يهدي به خلقاً كثيراً كما قال ﷺ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: « والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » وليتأمل أيضاً ببصيرة قلبه خير القرون الماضية وأهلها الذين قال عنهم النبي ﷺ: « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » والقول بأنا لانقدر على ذلك ليس بعذر سديد لأن الله قال: ﴿ وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقال تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنه ﴾ وقال ﷺ فيما صح عنه: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وليس له ﷺ طريق ولأصحابه آخر، ولا لأصحابه طريق ولنا آخر، بل الطريق الذي فطر الله عليه الأمة وأمرها اتباعه واحد، فالنبي ﷺ يتقدمنا فيه ونحن نقتفي أثره وأثر أصحابه كما كان عليه السلف الصالح، والدنيا فانية مفروغ منها والأمر أسرع من ذلك والعز بأنواعه لم يوجده الله إلا في الاسلام والاقامة عليه، والذل والصغار والمحق في ضده ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾ (صدر منه الأمر الواجب القبول والاتباع وأشار إلى واشارته حكم وطاعته غنم فامتثالاً لأمره نظرنا فيه) صدر أي مضى من هذا الوزير الأمر لعلماء مملكته لينظر وافى هذا الكتاب، والله أعلم بنيته، الواجب القبول والاتباع صفتان للأمر ولاشك أن طاعة الأمير واجبة لكن في غير المعصية.

تعصب الراوي وكبره :

وأشار إليّ فيه ان هذا المشار إليه يدعي أنه من أجل علماء المملكة وأكبرهم قدراً عنده فلذلك خصه من بينهم فامتثالاً لأمره نظرنا فيه، يعني وإلا لولا أمره لم ننظر فيه ولم نطالعه، ولم نتأمله، وهذا من أعظم التعصب وأكبر التوثب على الركون إلى الرأي العقلي بلا حجة قطعية ولادليل نقلي، فهو من نوع التوكل على مجرد الرأي، وذلك هو الموجب لقول الزور والبهتان والوقوع في الإثم والعدوان، إذ مامن مستغن برأيه عن مشاهدة الحق وأتباعه والتامل في أحواله إلا وفات عليه خير كثير ولم يحصل له ماخيل إليه ممايزعم أنه لديه وهذا من العلم العقلي المخالف للدليل النقلي الناشىء عن الجهل الكلي قال تعالى: ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ وقد قال النبي ﷺ عن ذلك أنه اتباع هوى واعجاب، فروى أبو ثعلبة عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك » والترفع عن أخذ العلم والحق وعن سماعه وادعاء الانتهاء فيه والاستغناء عنه من أكبر العجب، وهذا ادعاء فيما لاسبيل له إليه ولاملك له فيه وان زعم كمال الفهم فيه والاطلاع عليه إذ مامن عالم إلا وفوقه أعلم منه، قال تعالى: ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ أي لكل ذي علم من المخلوقين أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله عز وجل، ولذلك عتب الله على موسى عليه السلام حين قام خطيباً في بني اسرائيل فسئل هل أحد أعلم منك؟ قال: لا، قال الله: بلى إن عبدنا خضراً هو أعلم منك، فلا زال يطلبه حتى وجده ليأخذ عنه العلم. ومن استغنى برأيه وزعم ان الباطل حق باستدلالاته التي قامت مخايل جفيلها الخالي في ذهنه وقرب سرابها النائي في ظنه فتخيل ان جميع معانيها ومافيها منسوبة عنه وإليه، ولم يعلم أنها حجة عليه، فقد أخطأ سبيل الرشاد وتعنت في أنواع العناد مقلداً لما سمعه من

عدو الحق بلا تحقق، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته والله تعالى يقول: ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ وفي المسند للإمام أحمد عن ابن عمر يرفعه إلى النبي ﷺ: « من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان » وقال ﷺ: « إن شر الشر شرار العلماء، وإن خير الخير خيار العلماء » رواه الدارمي في مسند الفردوس وذلك لأنهم سبب صلاح العالم، واليهم ينتهي أمور الدنيا والدين، وبهم الحل والعقد، فإذا فسدوا فسد الناس كلهم، وسبب فسادهم الضار بالخاص والعام متابعة الهوى وحب الرئاسة والعجب بالرأي، وقد يظهر للناس مايدل على صلاحه من أمر أو نهي وهو في قيد هواه معجب في نفسه، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال ماعملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكن قاتلت ليقال هو جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها فقال ماعملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن فقال كذبت ولكن تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال ماعملت فيها فقال ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » وفي لفظ: « فهؤلاء أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة » وفي صحيح البخاري عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه أهل النار فيقولون أي فلان ماشأنك ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » وسبب هذا إنما هو اتباع الهوى، والقصور على مجرد الرأي من أعظمه وان زعم العلم وادعاه، ولذلك ذم الله سبحانه المعارضين للحق لما جاءهم بما قام في أنفسهم من الادعاء للعلم والاستغناء به عما جاءهم قال تعالى: ﴿ فلما

جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ قال أهل التفسير يعني رضوا عن ذلك بما عندهم من العلم في زعمهم فرح استهزاء وضحك منكرين للحق،وسماه سبحانه علماً باعتبار ماقام في ذهنهم وإلا فهو أقبح الجهل،والاستغناء بمجرد الرأي الخالي عن الدليل النقلي موجب للتعاون على الاثم والعدوان اللذين نهى الله عنهما في قوله: ﴿ ولاتعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ والمعاونة عليهما من دحض الحق والعمل بنقيضه،وهذا من تسويل ابليس وتحسينه ليدخل الانسان في ملته،فمن فعل فقد أحياها فصار من حزبه وأعوانه ﴿ إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ والمعاونة على الاثم طبقات أقبحها وأفحشها مايقع من العلماء وهي إما بالفعل أو بالقول،فإن كانت من الفعل فهي من أعظم الضرر على البقية، وذلك ان العلماء إذا عملوا عملاً ليس من الدين ولا سنة أفضل المرسلين صاروا سبباً لاقدام العوام إليه ولعكوفهم عليه لاعتقادهم أنه من الدين، وأنه مما يتقرب به إلى رب العالمين،وهذا السبب في كل بدعة،وما من فتنة في الوجود تنشأ إلا عنها. وفي هذا المعنى يقول العزيز الحكيم في التحذير من مخالفة أوامر من هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقد أصيب الناس بفتنة أضرت بالخاص والعام فلم يرض أحد عن أحد غير معتقده ولم يزكه إلا باتباع ماارتكبه،وهذا نوع من الزيغ وقد أخبر الصادق المصدوق ان هلاك من كان قبلنا بسبب الاختلاف،وحذر أمته ان تصنع كما صنعوا فيقعوا فيما وقع فيه من مضى من الاسلاف قال ﷺ: « دعوني ماتركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه مااستطعتم » أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه،وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وهؤلاء المبتدعون يصيرون سبباً لفتنة كل مفتون. ويكون هذا منهم كاعطاء السيف لقاطع طريق المسلمين،وكتذكار الحجر للمجانين،وكاغراق السفينة في الماء،وكاحراق المدينة في النار،وان كانت في القول فهي أعظم ضرراً من الفعل فإنهم إذا أحلوا ماحرم الله أو حرموا ماأحل الله تبعهم العوام مقتدين بهم فبذلك يصيرون

عاملين بالاثم ومعاونين عليه فحصل لهم كفلان من العذاب.عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ قوله تعالى: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ الآية فقلت يارسول الله إنا لسنا نعبدهم قال: « أليس يحرمون ماأحل الله فتحرمونه ويحلون ماحرم الله فتحلونه فقلت بلى قال تلك عبادتهم » رواه الامام أحمد والترمذي وحسنه،والتحليل والتحريم ليس قيداً لوجود الاثم بل هو موجود بمجرد الأمر والنهي المخالفين للدين ثم ان كان ذلك المأمور به فعله مكفراً والمنهي عن فعله تركه مكفر فله حكمه،وإلا فهو ذنب ان لم يستحل ولهذا كان السلف يقولون: (احذروا من الناس صنفين:صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا أعمته دنياه) وكانوا يقولون: (احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون) فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولايتبعونه، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم. وقد وصف الله تعالى أئمة المتقين فقال: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ فبالصبر تترك الشهوات، وباليقين تدفع الشبهات، ومنه قوله تعالى: ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ وقوله: ﴿ أولي الأيدي والأبصار ﴾ ووصف بعضهم الامام أحمد رحمه الله فقال) عن الدنيا ماكان أصبره،وبالماضين ماكان أشبهه،أتته البدع فنفاها،والدنيا فأباها) ومنه الحديث المرسل عن النبي ﷺ: « إن الله يحب البصير الناقد عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات » وقد دل قوله تعالى ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم ﴾ على اتباع الشهوات وهو داء العُصاة، وقوله: ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ على الشبهات وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات وكثيراً يجتمعان،فقل من تجد في اعتقاده فساداً إلا وهو يظهر في عمله،وقد دلت الآية على أن الذين قبله استمتعوا وخاضوا وهؤلاء فعلوا مثل أولئك لأن قوله استمتعتم وخضتم خبر عن وقوع ذلك في الماضي، وهو ذم لمن يفعله إلى يوم القيامة كسائر ماأخبر الله به عن الكفار والمنافقين عند مبعث النبي ﷺ فإنه ذم لمن حاله كحالهم وعمله يشبه عملهم إلى يوم القيامة قد أشار إلى ذلك الإمام البغوي والحافظ ابن كثير وغيرهما من المفسرين عند هذه الآية بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المتفق عليه عن النبي ﷺ أنه قال: « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر

ضب تبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال: فمن » وفي رواية أبي هريرة: « وهل الناس إلا أولئك » وقال ابن مسعود: (أنتم أشبه الأمم ببني اسرائيل سمتاً وهدياً تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير ان لا أدري تعبدون العجل أم لا) وبهذا أيضاً يكون خبراً عن أمر دائم مستمر لأنه وان كان بضمير الخطاب فهو كالضمائر في نحو قوله ﴿ اعبدوا واركعوا واسجدوا وآمنوا ﴾ فكما ان جميع الموجودين في وقت النبي ﷺ مخاطبون بهذا الكلام لأنه كلام الله وانما الرسول مبلغ،فكذلك هو متناول لمن بعدهم إلى يوم القيامة، وهذا مذهب عامة المسلمين.وان كان بعض من تكلم في أصول الفقه اعتقد ان الضمير يتناول الموجودين حين تبليغ الرسول وان سائر الموجودين بعدهم دخلوا إما بما علمناه بالاضطرار من احتواء الحكم كما لو خاطب النبي ﷺ واحداً من أمته وقصد غيره من سائر الأمة،وإما بالسنة،وإما بالاجماع،وإما بالقياس،فيكون كل من حصل في هذا الاستمتاع والخوض مخاطباً بقوله تعالى ﴿ فاستمتعتم وخضتم ﴾ وقد توعد سبحانه هؤلاء المستمتعين الخائضين بقوله: ﴿ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾ فأخبر سبحانه ان في هذه الأمة من استمتع بخلاقه كما استمتع الأمم قبلهم،وخاض كالذين خاضوا،وذمهم وتوعدهم على ذلك،ثم خصهم على الاعتبار بمن قبلهم،فقال عز من قائل: ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات ﴾ الآية فطاعة الله ورسوله وصف للمؤمنين قال تعالى: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ والاستمتاع بالخلاق والخوض،وصف لمن فيه مشابهة للقرون المتقدمة وقد ذم الله من يفعل ذلك،وأمر نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين بعد هذه الآية دليل على جهاد هؤلاء المستمتعين الخائضين،ثم هذا الذي دل عليه الكتاب من مشابهة بعض هذه الأمة للقرون الماضية في الدنيا وفي الدين،وذم من يفعل ذلك دلت عليه أيضاً سنة رسول الله ﷺ، وتأول الآية على ذلك أصحابه رضي الله عنهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعاً

بذراع وشبراً بشبر وباعاً بباع حتى لو أن أحداًمن أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه » قال أبو هريرة اقرؤا إن شئتم ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة ﴾ الآية قالوا : يارسول الله كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب . قال : « فهل الناس إلا هم » وعن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية أنه قال ماأشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم . وعن حذيفة بن اليمان قال : (المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ قلنا : وكيف . قال : أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه) وقد جاءت السنة بالاخبار بمشابهتهم في الدنيا وذم ذلك والنهي عنه،وكذلك في الدين،فمن الأول مافي الصحيحين عن عمرو بن عوف من حديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ إلى البحرين الحديث بتمامه ومن الثاني ماروى ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل الحديث » حتى في الرئاسة وحب الدنيا وايثارها .

ماذكره الراوي في شأن رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

(فبعد أن طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتاباً جامعاً لشتات من المسائل مشتملاً على عدة رسائل) .

الضمير في طالعناه يرجع إلى الكتاب المذكور ، رأى نظرنا فيه وفهمنا فحواه أي معناه ومذهبه فيه وما يميل إليه ، وقوله وجدناه من وجد الشيء إذا علمه وأحس به كتاباً أي مكتوباً جامعاً أي حاوياً لشتات من المسائل جمع مسئلة من السؤال وهو مايبرهن عنه في العلم مشتملاً حال من الضمير في وجدناه على عدة رسائل (منها كتاب التوحيد) وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ قوله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ثم أتى فيه بأحاديث من الصحيحين وبوّبه أبواباً على تراجم معلومة وأحاديث منهما منقولة (ومنها كتاب الكبائر) وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم ﴾ الآية وبوّبه أبواباً على تراجم معلومة وأحاديث من الصحيحين

مشهورة منقولة (ومنها كشف شبه المرتاب) مصدرة في معرفة حقيقة التوحيد وماهو حق الله على العبيد وكيفية الشرك الذي قال الله عنه : ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ وكيف كان صفة شرك الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وانهم مقرون بتوحيد الربوبية وانما قصدهم شيئاً يتقربون به إلى الله من خلقه يدعونهم ويرجونهم ويتوكلون عليهم لشفاعتهم لهم زاعمين رضاء الله والقرب إليه،فضرهم ذلك وأفسد عليهم (ومنها شرح الكلمة الطيبة) بمعناها المراد من لفظها والكلمة الخبيثة التي ضد الطيبة ودلائلها وانهما لايجتمعان،وان معنى الاله هو المعبود سواء كان بحق أو بباطل وان من جعل بينه وبين الله من خلقه وسائط يدعوهم ويرجوهم ويتوكل عليهم ويتقرب بهم فقد جعلهم آلهة مع الله لقول بني اسرائيل لموسى اجعل لنا الهاً (ومنها كلام الإمام أحمد) في عدة وريقات كتبهن رسالة له في مسابقة المأموم امامه في الصلاة .

رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونقد الراوي لها :

(ومنها) رسالة له متعلقة بسيرة الأولين ومعرفتهم للدين وفعلهم مع المعاندين المخالفين (وله رسالة في الجهاد) وفضله وكيف كان رسول الله ﷺ وأصحابه يجاهدون (وفيه رسائل غير ذلك) متعلقة بالتوحيد وغيره من مسائل الدين (لكنه قد جمع فيه بين غث وسمين وقوي ووهين) هذا استدراك من قوله كتاباً جامعاً أي لكنه يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد جمع فيه أي في كتابه المتقدم ذكره بين غث عني به الجاف الهشيم الذي لاطعم فيه،بدليل مايقابله في قوله وسمين أي جمع في هذا الكتاب بين ماهو خالي المعنى المراد من الترجمة التي عقدت لأجله،فما قصده فيها هو معلوم لاتؤدي تلك الترجمة وما تضمنته معناه بل ماقام في ذهنه واستدل عليه به فدليله خال مما أراده ليس فيه منه شيء،وبين ماهو موافق لما أراده فمعناه فيه موجود موافق. وقوله وقوي ووهين عطف مغاير،أي جمع في هذا الكتاب أيضاً بين قوي وهو ماليس فيه شيء يوجب ضعفه،ووهين هو الضعيف الذي فيه شيء يوجب نقصه عن درجة ماقبله،أشار بذلك هذا المعترض إلى أنه ناقد بصير مميز بين الأشياء المتضادة والمتوافقة وماتؤديه من المعاني المتغايرة أو المتناسبة ومايراد منها وما

متعلقها ونتيجتها وبين مافيه قوة وضعف وصحة وبطلان وأنه قد نقد هذا الكتاب فوجده كما وصفه.

ونحن نقول من تأمل كلامه الآتي علم يقيناً ان ليس عنده من ذلك إلا مجرد الادعاء، اذ هو الجامع للمتضادين جنساً، وهو المازج للصفتين نوعاً، وهو الخابط فيه خبط العشوى فلم يفرق فيه بين الجنسين، ولم يميز بين النوعين لعدم معرفته الدين مع قصد الأولين واقرارهم برب العالمين، فان قصدهم القرب إليه والتحصيل لما لديه، لكن ضرهم جهل الكيفية التي يكون بها التعبد أجل مطلوب ومقرباً إلى المحبوب، لكن من له اطلاع على أصحاب التصانيف الحسان، وما حصل لهم وعليهم من الاقران علم يقيناً أن ماكان أولاً فهو بالأولى وقوعاً في آخر الزمان وما أحسن ماقيل في ذلك:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة　　　كما أن عين السخط تبدي المساويا

ومن رزق التوفيق هدي إلى الصواب، ومن استفتح فقد نجح، فيرزق العلم بقول الله وبما جاء عن محمد رسول الله مشروح الصدر للإيمان على نور من ربه يعرف الحق ويقود إليه ويعرف الباطل ويذود نفسه وغيره عنه.

(ووجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطراً ولم يمعن فيها نظراً، ولاقرأ على من يهديه إلى النهج القويم، ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التي هي الصراط المستقيم) .

الضمير في وجدنا أحواله يرجع إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحوال من عرف من الشريعة أي المشروعة التي شرعها الله على لسان رسول الله ﷺ شطراً شطر المكان جهته، وشطر الشيء والمتاع ضعفه، وشاطر الوادي جانبه كشاطئه ومعناه أنا وجدنا أحوال هذا الرجل أحوال الذي عرف من الشريعة شطرها أي جهتها التي تؤدي إليها وبعضها التي فيها ولديها، ولذلك قال ولم يمعن فيها نظراً يعني لم يصل إلى معناها الكلي بعد أن عرف الجهة التي هي اللفظ، وملخصه أنه قد عرف لفظ الكلام من الكتب ولم يفهم المعنى.

رد الشيخ على قول الخصم:

ونحن نقول من تأمل القرآن وآياته البينات،وسبب انزاله وموضوعه،وسنة النبي ﷺ وهديه،وماأرسل به،وسنة أصحابه،ومن تبعهم بإحسان،فهم يقيناً أن ماقاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأمر به ودعا إليه هو عين ماتضمنه القرآن من توحيد الله الذي هو حقه على العبيد، وماكان عليه النبي ﷺ وأصحابه وأئمة الدين بعدهم، وانه بذلك قد علم الشريعة وحققها،وأمعن نظره في سنة النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وقررها وأظهرها، فإن آيات الله دالة على وحدانيته تعالى في ألوهيته وتفرده في معاملته مما هو حق على عبيده،فإنزاله سبب لمعرفة حق الله تعالى وتقدس واخلاص الدين كله له وحده،وهذا موضوع القرآن مع كونه مصرحاً بأن الأولين مقرون ومعترفون لله بالخلق والرزق والاماتة والاحياء والتدبير والضر والنفع وإنما قصدهم الجاه والقربة بواسطة ووسيلة من المخلوقين،أو صورهم توصلهم إلى غاية قصدهم ومطلوبهم ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾ إلى أن قال: ﴿ سيقولون لله قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله ﴾ ثم قال بعد تقريرهم واقرارهم بأن ملكوت كل شيء بيد الملك الحي ﴿ ماتخذ الله من ولد وماكان معه من إله ﴾ وقال تعالى: ﴿ قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شاء وتنسون ماتشركون ﴾ وقال تعالى: « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ ووصف الإنسان بأنه إذا مسه الضر دعاه وإذا كشفه عنه أشرك معه سواه قال تعالى: ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ماكان يدعو إليه من قبل، وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ﴾ وهذه أقبح حالة إذا مسه الشر دعا لحاجته فإذا أنعم عليه مولاه جاءته الاستحالة،وهم قالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ولشفاعتهم لنا عند الله. فمن عرف لفظ هذه الآيات القرآنية

ووفق لفهم معناها،وانهم مقرون له تعالى بالربوبية علم ان هذا المقام لانزاع فيه،وانما اتخذوهم وسائط ووسائل بينهم وبين ربهم كما تكون الواسطة بين الملك ورعيته، وهذه الوسائط التي يدعونها في حال الرخاء فقط ويرجون شفاعتها وقت الشدة يسمونها الآلهة لتأله قلوبهم بها ورجاؤهم منها القرب والتقريب، كما قالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً، على جهة أن ذلك لايكون لأنهم ظنوا أن الإله الواحد وهو الله لايسع الخلق إلا بآلهة معه يدخلون عليه بهم ويصلون إلى قضاء الحوائج بشفاعتهم لديه،ومنه قول بني اسرائيل لموسى: ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ قال أهل التفسير انهم لم يكونوا شاكين في الدين وإنما أرادوا شيئاً يعظم عندهم وفي نفوسهم ويتقربون بتعظيمه وشفاعته إلى الله تعالى وظنوا أن ذلك لايضر في الدين لشدة جهلهم.

ومن عرف وحقق معنى الشهادتين اللذين هما رأس الاسلام وقوامه،شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم شهد بهما لزمه العمل بمقتضاهما قولاً وفعلاً واعتقاداً وترك المنافي والمناقض لهما قولاً وفعلاً واعتقاداً، فإن معنى الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن اخلاص الألوهية له وحده في عبادته ومعاملته،فلا يجوز أن يتأله القلب غيره لابحب ولاخوف ولارجاء ولااجلال ولا اكرام ولا رغبة ولا رهبة بل لابد أن يكون الدين كله لله كما قال جل ذكره: ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله » فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغيره كان في ذلك من الشرك بحسب ماكان لغيره، ثم ان كان أصغر مثل الرياء فله حكمه،وان كان أكبر مثل مايأتي بيانه فله حكمه، وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ﴾ فالمؤمنون يحبون لله والمشركون يحبون مع الله وهي الأنداد التي ذكرها في قوله: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ﴾ الآية.

والشهادة بأن محمداً عبده ورسوله تتضمن تصديقه ﷺ في كل ماأخبر به وطاعته في كل ماأمر به،فما أثبته وجب اثباته،ومانفاه وجب نفيه، كما يجب على الخلق أن يثبتوا لله ماأثبته لنفسه من الأسماء والصفات،وينفوا عنه مانفاه عن نفسه من مماثلة المخلوق،فيخلصون من التعطيل والتمثيل،ويكون في اثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل

وعليهم أن يفعلوا ماأمر الله به وينتهوا عما نهى عنه،ويحللوا ماحلله،ويحرموا ماحرمه،فلا حرام إلا ماحرمه الله ورسوله،ولادين إلا ماشرعه الله ورسوله، ولهذا ذم الله المشركين في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما لكونهم حرموا مالم يحرم الله وشرعوا ديناً لم يأذن به الله كما في قوله تعالى: ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ﴾ إلى آخر السورة وماذكره في صدر سورة الأعراف وكذا قوله تعالى: ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه ﴾ فأخبر أنه داع إلى الله بإذنه،فمن دعا إلى غير الله فقد أشرك ومن دعا إليه بغير اذنه فقد ابتدع، والشرك بدعة والمبتدع يؤول إلى الشرك، ومن خاض كما خاض فيه الأولون فلم يعرف اللازم من الملزوم فقد جردهما من المعنى. وإذا كان سبب النزول أحوال مشركي العرب فالعام لايقصر على السبب. وكذلك الأحاديث الصحيحة كحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: « يامعاذ أتدري ماحق الله على العباد » قلت: الله ورسوله أعلم قال: « أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً أتدري ماحقهم عليه؟ » قلت: الله ورسوله أعلم قال: « أن لايعذبهم وفي لفظ أن لايعذب من لايشرك به شيئاً » -قلت: أفلا أبشر الناس قال: « لاتبشرهم فيتكلوا » أخرجاه في الصحيحين فإنه قاض في الأخبار بلفظه عن حق الله على العباد من توحيده سبحانه واخلاص الألوهية له تعالى كما قال جل شأنه: ﴿ واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً ﴾ وقال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾

وقوله: ﴿ قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ﴾ فقد أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضى لنا الإسلام ديناً،وأمرنا أن نتبع صراطه المستقيم ولا نتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله،وجعل هذه الوصية خاتمة وصاياه العشر التي هي جوامع الشرائع التي تضاهي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى في التوراة وإن كانت الكلمات التي نزلت على نبينا ﷺ أكمل وأبلغ وأتم،ولهذا قال الربيع بن خيثم وعبد الله بن مسعود: (من سره أن يقرأ كتاب محمد الذي لم يفض خاتمه بعده فليقرأ آخر سورة الأنعام ﴿قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ﴾ إلى قوله: ﴿ وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾

الآية) وأمرنا أن لانكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأخبر رسوله ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ وذكر أنه جعله على شريعة من الأمر، أمره أن يتبعها ولايتبع سبيل الذين لايعلمون وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ﴾ إلى قوله : ﴿ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك ﴾ فأمره أن لايتبع أهواءهم عوضاً عما جاءه من الحق،وإن كان ذلك المتبع شرعاً أو طريقاً لغيره من الأنبياء فإنه سبحانه قد جعل لكل منهم سنة وسبيلاً ولكنه ﷺ حذره ربه أن يفتنوه عن بعض ماأنزل الله إليه، وإذا كان هذا فيما جاءت به شريعة غيره،فكيف بما لم يعلم أنه جاءت به شريعة قط،بل لم ينزل الله به الكتب ويرسل الرسل إلا بتقبيحه والإنذار عنه،وخبث فاعله والحكم عليه بالذل والصغار والخلود في النار، حتى قرر ذلك وحرر في كتب الفقه التي تداولها الأيدي لعلماء كل مذهب فإنهم عقدوا فيه باباً للردة بعبارات مختلفة اللفظ متفقة المعنى .

تعريف المرتد :

منها قولهم المرتد لغة الراجع،يقال ارتد فهو مرتد إذا رجع قال تعالى : ﴿ ولاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾ وشرعاً الذي يكفر بعد اسلامه نطقاً أو اعتقاداً أو شركاً أو فعلاً،وبعض هؤلاء الأئمة قال ولو مميزاً فتصح ردته كإسلامه،وهم الحنابلة ومن وافقهم طوعاً لامكرهاً بأن فعل لداعي الاكراه لاعتقاده ماأريد منه لقوله تعالى : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾ الآية إلى أن قالوا أو أشرك بالله،بأن جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم ويتوكل عليهم لقوله تعالى : ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيراً ﴾ وهذا قد أجمع عليه أئمة المسلمين وعلماء الدين .

ونعني بهذا الإجماع ماقاله الإمام الغزالي : هو اتفاق أمة محمد ﷺ على أمر من الأمور الدينية . ولا عذر في الجهل بعد الانذار بالكتاب والرسول وان جادل وعاند وزعم أنه محق فهو بنزول العذاب والبلاء مستحق . وفي هذا يقول نبي الله هود: على محمد وعليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام مخاطباً لقومه وقد أكثروا عليه في تركهم الآلهة

وشددوا في لومه ﴿ قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان ﴾ فهذه المجادلة بالباطل وقوع الرجس والغضب هو الحامل عليها بعد أن تقدم منهم السبب .

حكم التوسل بالأعمال الصالحة وبأسماء الله وصفاته :

فلم يبق إلا التوسل بالأعمال الصالحة كتوسل أهل الإيمان في قولهم ﴿ ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ الآيات وكتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم، الحديث في البخاري لأنه تعالى وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ، وكسؤاله بصفاته وأسمائه كالأدعية المعروفة في السنن « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد أنت الله الحنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام » وفي الحديث الآخر « اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وفي الحديث الآخر « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو أستأثرت به في علم الغيب عندك » فهذه الأدعية ونحوها مشروعة باتفاق العلماء، وأما الإقسام على الله بمخلوق فهو منهي عنه باتفاق الأئمة . وهل هو نهي تحريم أو تنزيه على قولين أصحهما أنه نهي تحريم . وأما سؤاله تعالى بمعاقد العز من عرشه فيأتي بحثه إن شاء الله تعالى ، ومن أثبت مانفاه الله أو نفى ماأثبته الله في كتابه أو على لسان رسوله فقد ضل الطريق وأخطأ المعنى وان ادعى الحفظ والفهم . عن عبد الله بن مسعود قال : (سألت رسول الله ﷺ أي

الذنب أعظم؟ قال: « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قال: قلت: ثم أي؟ قال: « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قال قلت: ثم أي؟ قال: « أن تزاني حليلة جارك ») فأنزل الله تصديقها ﴿ والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ﴾ رواه البخاري ومسلم عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير. فهذا الحديث الصحيح له معان ودرجات على الترتيب في عظم الذنب، وأكبره جعل الأنداد، ومادونه وان كان ذنباً فليس مساوياً له إلا أن استحل فيوافقه في اسم الكفر، وجعل الند لله أكبر منه، ولكن ليس على العبد أشد من دحض الحق والعمل بخلافه ومعاداته وأهله والقدح عليهم فيه، فمعاداة الحق وأهله سنة متقدمة وعادة مطردة ولذلك لما أنزل الله على نبيه ﷺ ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ صدع بأمر الله لاتأخذه فيه لومة لائم فدعا إلى الله الكبير والصغير والحر والعبد والذكر والأنثى والجن والانس، فلما صدع بأمر الله وصرح لقومه بالدعوة وبادأهم بسب آلهتهم وعيب دينهم اشتد أذاهم له ولمن استجاب له وادعوا جهلهم وجنونهم، وهذه سنة الله عز وجل في خلقه، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك ﴾ وقال: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن ﴾ وقال كذلك: ﴿ ماأتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ الآية فعزى الله سبحانه نبيه بذلك وان له اسوة بمن تقدمه من الرسل وعزى سبحانه أيضاً أتباعه وهم العلماء العاملون بأمره الداعون إلى شريعته بقوله سبحانه: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ الآية وقوله: ﴿ ألم أحسب الناس أن يتركوا.. ﴾ إلى قوله: ﴿ أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ﴾.

ومن تأمل سياق هذه الآيات وماتضمنته من العبر وكنوز الحكم علم أن الناس بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمنا، وإما أن يأبى فيستمر على السيئات من مخالفة دين الرسل، فمن قال آمنا ابتلاه ربه واختبره ليتبين الصادق من الكاذب، ومن لم يتبع دين الرسل فلا يحسب أنه يفوت الله ويسبقه، فمن آمن بالرسل واتبع دينهم واهتدى بهديهم عاداه أعداؤهم. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « إن الله تبارك وتعالى قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وماتقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي من أداءماافترضته عليه ومازال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله

التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وماترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » أخرجه البخاري في صحيحه في باب التواضع من كتاب الرقائق،ومن كان طالباً للرتبة العلية تنقل في المقامات العلوية وفارق كل فرقة غوية. ومن كان من حزب الشيطان يعود شيطاناً وان كان في صورة الانسان.

(ولاقرأ على من) أي على الذي (يهديه إلى النهج القويم) يعني أنه لم يقرأ على شيخ يرشده إلى الطريق الذي لاعوجاج فيه،وقد تقدم في ترجمته عند ذكر اسمه عدة مشايخه الذين قد اجتمع بهم وأخذ عنهم اجازة ودراية.

تعريف الدليل لغة واصطلاحاً:

(ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التي هي الصراط المستقيم) الدليل لغة: هو المرشد وهو الناصب والذاكر وما به الارشاد،واصطلاحاً: مايمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري وفاقاً وقيل إلى العلم به فتخرج الامارة،قال الأصوليون لابد للمستدرك من دليل ونظر وعلم،قال الامام أحمد الدال هو الله،والدليل هو القرآن والمبين هو الرسول ﷺ والمستدل أولو العلم،هذه قواعد الإسلام والنظر هو الفكر لمعرفة مطلوب من تصور أو تصديق،والعلم وهو حكم الذهن الجازم المطابق الموجب فلا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه فهو الدليل عليه وبه يهتدي في ظلمات الجهل والشبه والشكوك ولهذا سمى الله كتابه نوراً لأنه يهتدى به في ظلمات الجهل والوهم قال الله تعالى: ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ ومثل النبي ﷺ حملة العلم الذي جاء به،بالنجوم التي يهتدى بها في الظلمات،ففي المسند للإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ان مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر »

فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة وما دام العلم باقياً في الأرض فالناس على هدى وبقاء العلم ببقاء حملته العاملين به،فإذا ذهبت حملته أو من يقوم به وقع الناس في الضلال،كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « إن الله عز وجل لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء فإذا لم يجدوا عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وذكر النبي ﷺ يوماً رفع العلم فقيل له كيف يذهب العلم وقد قرأنا القرآن وأقرأنا نساءنا وأبناءنا فقال النبي ﷺ: « هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم شيئاً » فسئل عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن هذا الحديث فقال: (لو شئت لأخبرتكم بأول علم يرفع عن الناس الخشوع) وإنما قال عبادة هذا لأن العلم قسمان:أحدهما ماكان ثمرته في قلب الانسان وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله المقتضية لخشيته ومهابته واجلاله والخضوع له ورجائه ومحبته ودعائه والتوكل عليه ونحو ذلك مما هو عبادة مختصة بجلاله فهذا هو العلم النافع كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان اقواماً يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع،وقال الحسن العلم علمان؛علم اللسان فذلك حجة الله على بني آدم وهو كما في الحديث: « القرآن حجة لك أو عليك » وعلم القلب وهو العلم النافع الذائد لصاحبه عن جميع المهالك وهذا لايمكن إلا بصلاح تلك المضغة التي قد نص عليها النبي ﷺ في قوله: « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » أخرجه البخاري ومسلم من رواية الشعبي عن النعمان بن بشير وقد أرشد الله نبيه ﷺ إلى الهدى والعلم وأمره أن يسألهما منه عند الاختلاف فيه رغبة إليه سبحانه واعراضاً عن المشركين الذين قال الله عنهم: ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ وقال: ﴿ ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ﴾ فروى مسلم وأبو داود وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام يصلي من الليل يقول: « اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض علم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من

الحق بإذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » وذلك أن الله يقول : ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ أي فاختلفوا وقد قيل انا كذلك في حرف عبد الله ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وماختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ والهداية تورث الإلهام من ذي الجلال والإكرام المنان،وهو نفث في الروع من المولى الكريم لذوي الاستسلام،ويعقبه السكينة معنى ينزله الكريم المنان والطمأنينه نتيجة السكينة إذا قوي اليقين يأمن بها العبد إذا ذعر غيره من العبيد في مظاهر الانتقام والمجاهدة لاعداء كلمة الاسلام،فالشيخ محمد بن عبد الوهاب قد هدي فاهتدى، وهدى الله به من اهتدى بعد الاسترشاد إلى الرشاد والانحياد عن أهل الفساد،وهو لايفتر عن الاوراد ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ وماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن،ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم،سبحانك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك،اللهم صل على محمد وعلى آل محمد،كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد،كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد . السلام على النبي ورحمة الله وبركاته . هكذا لايفتر أبداً لاوقت نوم أو درس لكن لغربة الإسلام أنكر عليه وللحسد والبغضاء عودي ونسب كل فعل قبيح إليه ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وماأحسن ماقيل في ذلك :

أقول الله ربي والإسلام ... ديني والقرآن لي إمام
مقتدياً بأحمد وآله ... مخالفاً طوائف الكفر فهل ألام
قد غاظ دين الله كل كافر ... ليس له بحبله اعتصام
أصم أعمى ماله معرفة ... إلا بما تغذي به الأجسام
قد جهل القرآن من شقائه ... ففاته بجهله المرام
يالائمي إني أطعت أمر من ... عصيانه سبحانه حرام

مستمسكاً بالعروة الوثقى التي ليس لها يالأئمي انفصام
أدعو إلى القرآن من لم يتبع آياته وكلها أحكام
عاديتني والله قد أكرمني أفق فداعي الله لايضام
تريد أن تطفي نور خالقي ونوره غايته الإتمام *
والحق كالشمس إذا ماأشرقت أنوارها انجلى عنها الظلام
وفضله سبحانه إذا أتى عبداً فلا ترده الأنام

وفي ذلك أيضاً :

إن الإله على نصري لمقتدر فما أبالي بأعدائي ولو كثروا
إذا تجروا على ظلمي فإني بأقوى من هم انتصروا
إن المشركين قوم لاعقول لهم يلقيهم الجهل في الكفرالذي حذروا
أمرتهم باتباع الذكر فامتلأوا غيظاً فهل آمنوا أم كفروا
لايستجيبون للداعي إذا سمعوا ولايرون سبيل الرشد لو نظروا
ولايعون فما نصح بنافعهم كأنهم بيننا من جهلهم بقر
إني لأرجو الإله أن يصيبهم بنقمة منه لاتبقي ولاتذر
ياصم يابكم ياعمي الكتاب هدى للمتقين وعلم ليس ينحصر
فاتلوه واتبعوا آياته ودعوا مذاهب السفهاء إنها ضرر
أتهجرون كتاب الله ويلكم هل فارس نفسالكم قوم له هجروا
لقد مرقتم من الإسلام فانتبهوا فليس ترك كتاب الله يغتفر
ماصح إيمان من لم يتبعه ولو صلوا وصاموا وحجوا البيت واعتمروا

وقد أرسل إليه العالم الفاضل المدقق شيخ جهابذة العلماء الاعلام في عصره، رباني أهل وقته،شيخ صنعاء اليمن،وزبيدها عمدة دقيقها وجليلها محمد بن اسماعيل الأمير أرجوزة يثني فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى عقيدته ويشكره على أمره ونهيه وهي هذه :

قصائد في مدح الشيخ من علماء الأقطار :

سلامي على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لايجدي
وقد صدرت من سفح صنعاسقى الحيا رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ألاياصبا نجد متى هجت من نجد
يذكرني مسراك نجداً وأهله لقد زادني مسراك وجداً على وجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
* محمد الهادي لِسُنَّة أحمد فياحبذا الهادي وياحبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله بلا صدر في الحق منهم ولاورد
وماكل قول بالقبول مقابل وماكل قول واجب الطرد والرد
سوى ماأتى عن ربنا ورسوله فذلك قول جل ياذاعن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها تدور على حسب الأدلة في النقد
* وقد جاءت الأخبار عنه بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ماطوى كل جاهل ومبتدع منه فوافق ماعندي
وَيْعمُر أركانَ الشريعة هادماً مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواعاً ومثله يغوث ووداً ليس ذلك من ودي
وقد هَتَفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالواحد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائفاً حول القبور مقبلاً ومستلم الأركان منهن باليد
لقد سرني ماجاءني من طريقه وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي
يصب عليه سوط ذم وغيبة ويجفوه من قد كان يهواه عن بعد
ويعزي إليه كل مالا يقوله لتنقيصه عند التهامي والنجدي
فَيَرميه أهل الرفض بالنصب فرية ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه أتى بتحكيم قول الله في الحل والعقد
* ويتبع أقوال النبي محمد وهل غيره بالله في الشرع من يهدي
لئن عده الجهال ذنباً فحبذا به حبذا يوم انفرادي في لحدي

سلامي على أهل الحديث فإنني نشأت على حب الاحاديث من مهدي
هم بذلوا في حفظ سنة أحمد وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد
وأعني بهم أسلاف سنة أحمد أولئك في بيت القصيدة هم قصدي
أولئك أمثال البخاري ومسلم وأحمد أهل الجهد في العلم والجد
بحور أحاشيهم عن الجزر إنما لهم مدد يأتي من الله بالمد
رَوَوا وارتووا من بحر علم محمد وليس لهم تلك الملل من وردي
كفاهم كتاب الله والسنة التي أتاهم بها صحب الرسول ذوو المجد
أأنتم أهدى من صحابة أحمد وأهل الكسا هيهات ماالشوك كالورد
أولئك أهدى في الطريقة منكم فهم قدوتي حتى أوسَّد في لحدي
وشتان مابين المقلد في الهدى ومن يقتدي والضد يعرف بالضد
فمقتدياً كن في الهدى لامقلداً وخلي أخا التقليد في الأسر بالقد
وأكفر من في الأرض من قال أنه إله فإن الله جل عن الند
مسماه كل الكائنات جميعها من الكلب والخنزير والفهد والقرد
وإن عذاب النار عذب لأهلها سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وعباد عجل السامري على هدى ولائمهم في اللوم ليس على رشد
تناشدنا عنه نصوص فصوصه تنادي خذوا في النظم مكنون ماعندي
وكنت امرأ من جند ابليس فارتمى بي الدهر حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أدركت بعده دقائق كنز ليس يدركها بعدي
يلذون عند العجز بالذوق ليتهم يذوقون طعم الحق فالحق كالشهد
نقول لهم ماالذوق قالوا مثاله عزيز فلا بالشم يدرك والحد
ففشرهم بالكشف والذوق مشعر بأنهم عن مطلب الحق في بعد
ومن يطلب الانصاف يدلي بحجة ويرجع أحياناً ويهدي ويستهدي
وهيهات كل في الديانات تابع أباه كان الحق في الأب والجد
كذلك أصحاب الكتاب تتابعوا على ملة الآباء قرداً على قرد
وهذا اغتراب الدين فاصبر فانني غريب وأصحابي كثير بلا عد
إذا مارأوني عظموني وإن اغب فكم أكلوا لحمي وكم مزقوا جلدي

* هنيئاً مريئاً في اغتيابي فوائد ... فكل فتى يغتابني فهو لي يهدي
يصلي ولي أجر الصلاة وصومه ... ولي كل شيء من محاسنه يبدي
وكم حاسد قد أنضج الغيظ قلبه ... ولكنه غيظ الأسير على القد
فدونكها تحوي علوماً جليلة ... منزهة عن وصف خد وعن قد
فلا مدحت وصلا لليلى وزينب ... ولا هي ذمت هجر سعدى ولاهند
إليك طوت عرض الفيافي وطولها ... فكم جاوزت غوراً ونجداً إلى نجد
أناخت بنجد فاستراحت ركابها ... وراح خليا عن رحيل وعن شد
فاحسن قراها بالقراءة ناظماً ... عليها جواباً فهي من جملة الوفد
وقد طولت جبراً لضعف نظامها ... كما ستر الوجه المشوّه بالبرد
وصل على المختار والآل انهم ... لحسن ختام النظم واسطة العقد

وقد صفحنا عن جوابها ايجازاً واختصاراً إدراكاً للمأمول وتحصيلاً للمسئول، فالشيخ محمد بن عبد الوهاب لما قام يدعو الناس إلى اقامة سنة النبي ﷺ ودينه وهديه ليقتفوا به وبأصحابه من بعده فيَقَوّموا الشريعة التي عليها من سلف من الأمة، عاداه الناس وآذوه،ونسبوا كل عقيدة باطلة وفعل قبيح إليه،وانقسموا فيه بين مكفر ومخرج،وأجلبوا بجيوشهم ومدافعهم عليه، وماذنبه إلا أنه يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو الداعي إليه، وهو القائم عليه، ممتثلاً قول الله تبارك وتعالى ومقتدياً برسوله ﷺ وبمن مضى من الصحابة والتابعين في إقامة الدين ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وقال تعالى: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ ومن أعرض ونأى بجانبه عن ملة نبيه محمد ﷺ نبي الرحمة الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فقد أخطأ وضل وأضل فإلى أين العدول عن ملته أين تطلب النجاة في غير طريقته،أيدعى مسلم اتباع من لايشك أنه على الصراط المستقيم وأنه رسول رب العالمين أرسله بالهدى ودين الحق فيتركه ويتبع الشيطان الرجيم الذي قد أخبر الله عنه ﴿ إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾.

رد قول الخصم أن الشيخ أخذ علمه من كتب ابن تيمية :

وأما قولكم: (بل طالع بعضاً من مؤلفات أبي العباس بن تيمية ومؤلفات تلميذه ابن القيم وقلدها من غير اتقان مع أنهما يحرّمان التقليد وأخذ العلم من غير تسديد) .

معناه أن هذا الرجل لم يقرأ على أحد من العلماء يدله على أمره ويساعد على قصده بل اكتفى عن ذلك بمطالعة بعض الكتب التي ألفها شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية وتلميذه أبو عبد الله ابن القيم فقلدهما فيما قالاه في كتبهما وهما لايجوّزان التقليد فأخذ العلم من المؤلفات بلا تسديد، فنقول لايلزم من مطالعة كتب الثقات وامعان النظر فيها وفي دلائل ماتضمنته وفهم معاني ماحكته عدم أخذ العلم عن أهله وممارسته وتكرار درسه ولاتنافيه، بل أخذ العلم بحثاً وتقريراً عن العلماء الثقات عند الخاص والعام والجهابذة الاعلام هو الحامل عليها، وهو الدال إليها، وفراسته وفهمه فيها هما الحاملان عليها، وفهمه في كل فن هو الحامل على تخصيص أمره في نصحه وإيجاد قصده القائم في ذهنه، وهو المقتضي لأمره ونهيه. ودليل ذلك اعتناؤه بكتب الثقات من أولي العلم، والرجوع إلى الآيات البينات والأحاديث الصحيحة عند اختلاف الفهم، أخذاً من كلام الأئمة النقاد وماصححوه مما اتفقوا عليه أو اختلفوا فيه، لامدعي الاجتهاد، وليس هو يدعو الناس إلى الاتفاق في مسائل الفروع التي قد وقع الاختلاف فيها، وإنما يدعوهم إلى العمل بما هو مطلوب منهم اتفاقاً مما لا تقليد فيه، وترك مانهوا عنه كذلك والرجوع إلى الكتاب والرسول والاجماع ليس بتقليد لقيام الحجة في ذلك، إذ وجود الباري تعالى وتَقَدَّسَ وتوحيدهُ واخلاص العبادة له والايمان برسالة محمد ﷺ وبما جاء به لاتقليد فيه فتجب معرفة وجود ذات الله بصفات الكمال شرعاً بالنظر في الوجود والموجود على كل مكلف قادر وهي أول واجب له تعالى وتقدس، وكذلك وحدانيته وألوهيته فيستدل عليهما بمخلوقاته ومصنوعاته. قال تعالى: ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ فمعرفة ذلك ليست ضرورية بل نظرية، بخلاف علمه سبحانه وتعالى بجميع مخلوقاته فليس هو بضروري ولانظري ولا كسبي ولا استدلالي بل هو قديم باق ذاتي محيط بكل معلوم كلي أو جزئي على ماهو عليه فلا يتجدد بتجدد المعلومات ولايتعدد بتعددها .

تعريف التقليد :

قال الأصوليون : التقليد لغة : وضع الشيء في العنق محيطاً به . واصطلاحاً : أخذ قول الغير من غير حجة . والرجوع إلى الرسول وإلى الاجماع ليس بتقليد لقيام الحجة . ثم قالوا : وهل يصح إيمان المقلد، على قولين للعلماء، فعن الأشعري لايصح ومن قال يصح يوجب عليه الاستدلال بالنظر والرجوع إلى الدلائل الظاهرة والآيات الباهرة، ثم ان من قام في ذهنه دلائل قصده ومطلوبه فأراد اقامتها على مادعاه من كتاب الله وسنة رسوله وكلام الأئمة الاعلام فباحث وناقش ودل واستدل فتوافق هو وغيره في الدليل والاستدلال والعقيدة فيما هو مطلوب لامحال لايلزم من ذلك التقليد لذلك الغير بل ولايؤديه معناه لوجهين :

أحدهما : أن كثيراً مايوافق مجتهد مجتهداً ، وليس هو مقلداً له فيما قاله وإنما هو موافق له فيه ، فالواقع إنما هو اتفاقهما في الحكم والدليل، لاتقليد أحدهما الآخر فيه . وهذا مشاهد في كلام الأئمة وتوافقهم في المسائل الاجتهادية، وقد وافق الإمام الشافعي الإمام زيد بن ثابت رضي الله عنهما مع أن الشافعي ليس مقلداً لزيد .

الثاني : أن تعريف التقليد هو أخذ قول الغير والعمل به من غير حجة للمقلد ، وإنما هو اعتماد على قول مقلده وقصر على منطوقه ومفهومه بلا نظر في دليله من ضعفه أو ترجيحه قاله الأصوليون . وقالوا يلزمه أن يقلد في مسائل الفروع الأرجح الفاضل عنده فيجتهد في ذلك على الأصح . وأما توحيد الباري تعالى وتقدس في معاملته واخلاص عبادته فلا تقليد فيه البتة، وإنما يقتدي اللاحق بالسابق فيه، والاقتداء ليس بتقليد، فكما أن شيخ الاسلام تقي الدين قد استدل في وقته بالكتاب والسنة وبكلام صالح سلف الأمة على التوحيد الذي هو وظيفة العبيد، وعلى الشرك ومعناه الذي هو ضد التوحيد ، وحرمه الله وأوهنه وعلق على وجوده عدم المغفرة فعودي وأوذي، كذلك هذا الرجل لما قام يأمر أهل وقته باخلاص التوحيد لله وحده فلا يجعل حقه تعالى لغيره، أو معه ومع غيره، وميّز لهم التوحيد من ضده، وأقام عليه الدلائل والبراهين من الكتاب والسنة ، وكلام صالح سلف الأمة، من غير تقليد لأحد فيه ، إن كان ولابد

فهو نقل كلام لإمام مجتهد حجة على من قلده ليعلم ذلك المقلد أنه قد خالف مقلده فيما قاله واعتقده،نسبوه إلى تقليد الشيخ تقي الدين في التوحيد،ولعل كلامه وافق كلام شيخ الإسلام تقي الدين في شيء من ذلك حتى في استدلالاته فليس هو تقليداً له ولا أخذاً منه. والشيخ تقي الدين وتلميذه رحمهما الله تعالى بل وغيرهما إنما يحرمون التقليد في توحيد الله ورسالة النبي ﷺ وماعلم كونه من الدين ضرورة كأركان الإسلام،ويدعيان الإجماع على ذلك وعبارتهما: (التقليد السائغ في المسائل المستفتى فيها وهي الاجتهادية) وأما العقلية كوجود الباري تعالى وتوحيده والرسالة فلا تقليد فيها،وكذا ماعلم كونه من الدين ضرورة كأركان الإسلام اجماعاً. وقال الشيخ تقي الدين في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم: (أما مسائل الفروع التي يسوغ الاجتهاد فيها والتقليد،لاريب ان المجتهد فيها على أجر فان أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر.وكذا المقلد له أجر على حسن قصده وعمله،وانما انكارهما شديد على من أوجب اتباع طريقة شيخ من مشايخ الدين والصلاح كالشيخ عبد القادر،والشيخ حيوه وأمثالهما. وكذلك من أوجب اتباع إمام معين من أئمة العلم والدين وألزم الناس الاقتصار عليه في كل ماقاله أو أمر به ونهى عنه،وعلى من عادى ووالى في هذه المذاهب أو عليها كالأئمة الأربعة لما فيه من الترجيح،قال ولكن طاعة الرسول إنما تمكن مع العلم بما جاء به والقدرة على العمل به،فإذا ضعف العمل والقدرة صار الوقت وقت فترة في ذلك الأمر،وان كان وقت دعوة ونبوة في غيره) وقال أيضاً في رسالته السنية: (وكذلك التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولارسوله مثل أن يقال للرجل أنت شكيلي أو قرقندي أو نقشبندي،فان هذه أسماء باطلة ماأنزل الله بها من سلطان وليس في كتاب الله ولاسنة رسوله ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأمة لاشكليي ولاقرقندي ولانقشبندي،والواجب على المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول لاأنا شكيلي ولاقرقندي ولانقشبندي بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله. وقد روينا أن معاوية بن أبي سفيان سأل عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال أنت على ملة علي أو على ملة عثمان فقال لست على ملة علي ولا ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله ﷺ. وكذلك كان كثير من السلف يقولون كل هذه الأهواء في النار،ويقول أحدهم ماأبالي أي النعمتين أعظم على ان هداني الله

الفهرس

الموضوع	الصفحة